٤ ـ حزب الله بين «الوعد الصادق وتغيير الاتجاه» (نموذج لجيل رابع من الحروب) (*)

عميد: أ.ح. محمد صفوت الزيات(**)

مقدمة

ما من حرب تخاض دون أهداف سياسية . .

وما من حرب تخاض دون جرد لحسابها الأخير . .

وأحسب أن المساحة التى عبرت إلى الآن منذ انتهاء أحداث الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان فيما سمى بـ«عملية تغيير الاتجاه ـ Change of Direction»، والتى انطلقت فى الثالث عشر من يوليو ٢٠٠٦ وتوقفت فى الرابع عشر من أغسطس من ذات العام؛ هى مساحة ليست كافية لسبر غور تلك الأهداف والتحقق من تلك النتائج؛ حيث يبقى هناك خلف الجانب الآخر من التل ـ على حد قول المؤرخ الشهير «ليدل هارت ـ Liddle Hart» ـ شىء ما يتكفل الزمن والجهد غير المتحيز سياسيًا وأيدولوجيًا فى الكشف عنه، هذا رغم الإقرار بدفق البيانات والدراسات التى صدرت عن وسائل إعلام وأوعية فكر شاب الكثير منها تناقض وعدم دقة؛ بل وتحيز فى بعض الأحيان؛ فقد صدرت عن جهات بعينها هى بطبيعتها ضد كل ما هو عربى، وإن كان الأمر فى هذه المرة قد تحول من مشكلة إلى معضلة، باعتبار إسهامات عربية شاركت بجهد وأحيانًا بحماس مع تلك الجهات.

لكن المؤكد أننا فى هذا الصيف الحار من العام ٢٠٠٦ كنا أمام حرب أفرزتها لحظة تحول ـ وليس مجرد تغيير ـ لم يدركها الكثيرون؛ تلك التى مثلتها «ثورة الشئون العسكرية ـ Revolution in Military Affairs (RMA)» من خلال إرهاصاتها الأولى فى مطلع

(*) نص مفرَّغ.

(**) الخبير بالشئون العسكرية والإستراتيجية.

الثمانينيات من القرن المنصرم بجناحيها التقنى العسكرى والسياسى العسكرى (الإستراتيجى). فعلى الجناح الأول (التقنى العسكرى) ترسخ تفوق أمريكى غير مسبوق فى تقنية المعلومات ونظم التسليح ودمجهما معًا؛ الأمر الذى عبر عنه فى العام ١٩٨٣ تدشين الرئيس الأمريكى آنذاك رونالد ريجان لمبادرة الدفاع الإستراتيجى، وما تلاها من تطوير وحيازة لأدوات الهيمنة على ميادين المعارك التقليدية، فى إطار «حروب الجيل الثالث ـ(Third Generation War (3GW» والتى اشتملت على أنظمة قيادة وسيطرة واتصالات وحاسبات واستخبارات C4I متطورة، توفر تفوقًا على الخصم فى الوعى بالموقف الميدانى، وسبقًا فى دائرة اتخاذ القرار، وأنظمة تسليح تحوز قدرات تدميرية هائلة، باعتبار الحجم والدقة، فضلاً عن درجة بقائية عالية، باعتبار «الإطلاق البعيد ـ Stand off» وتقنيات «الإخفاء ـ Stealth»، هذا بالإضافة إلى مستويات حركية فائقة توفر المناورة العالية بالقوات فى المكان والزمان الملائمين.

على الجناح الثانى الإستراتيجى جاء التراجع السوفيتى عن دور القوة العظمى الثانية وئيدًا، وإن كان مؤكدًا.. وعلى التوازى مع إيقاع تصاعد الهيمنة الأمريكية بدت معه رياح تغييرات سياسية هائلة، تعصف أول ما تعصف بأوروبا الشرقية، ثم تتجاوزها إلى أصقاع العالم.. وكان ذلك مؤشرًا ليس فقط لخلل فى الميزان الإستراتيجى الكونى الذى ساد إبان أربعة عقود هى عمر الحرب الباردة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية؛ ولكنه مؤشر ـ وهذا هو الأهم ـ إلى أن قيود التدخل فى شئون الدول الصغيرة التى طالما حكمتها اعتبارات التوازن بين القوتين العظميين قد تكسرت، وبات متاحًا أن توظف أدوات هيمنة الجناح الأول فى هذه الثورة دون قيود لتأمين مصالح كونية للقوة العظمى المنفردة عالميًا، عبر المبادرة بإدارة صراعات مسلحة تقليدية، فى مواجهة وعلى حساب الدول الصغيرة. وأحسب أن العام ١٩٩١ كان مفصليًا فى الإقرار بحقيقة وواقع هذه الثورة فى الشئون العسكرية؛ ففى شهره الأول قدمت الولايات المتحدة استعراضًا ميدانيًا غير مسبوق فى مستويات الهيمنة التى أصبحت عليها فى ميادين المعارك التقليدية إبان «عملية عاصفة الصحراء ـ Operation Desert Storm» ضد العراق، وفى شهره الأخير جاء انهيار الاتحاد السوفيتى تأكيدًا على الأوضاع الإستراتيجية المريحة لقوة عظمى متفردة فى نظام دولى فريد.

غير أنه وعبر الأفق البعيد لهذا المشهد؛ كان يبدو ـ بسبب عوامل عدة ليس أقلها حقائق الثورة فى الشئون العسكرية ـ بروز أنواع جديدة من التهديدات، ارتبطت بحركات تمرد شعبية من نوع «الفاعلين من غير الدول ـ non - state actors» أدركت عن يقين حقائق هذه الثورة، واستعملت عن جدارة أدوات ظاهرة العولمة التى واكبتها، وقررت مواجهة واقع الهيمنة التى عليها هذه القوة العظمى ومن يدور فى فلكها، بوسائل وأساليب تتجنب مصادر القوة التقليدية لخصومها؛ بالعمل كثيراً «أسفل» وأحيانًا «أعلى» من مجال ذلك التفوق؛ أى بصورة لا تتماثل مع خصومها الأقوياء؛ وهو ما أصبح يعرف بـ «الحرب غير المتماثلة ـ Asymmetric Warfare»، أو ما أصبح يطلق عليه فى سياق تطور الصراعات المسلحة بـ «حروب الجيل الرابع ـ Fourth Generation War (4 GW)».

وأحسب عن يقين أننا فى هذه الحرب كنا أمام طرفين يتصارعان بمفاهيم حروب مختلفة، أحدهما (وهو الطرف الإسرائيلى) بحكم التحالف والرعاية الإستراتيجية للدولة الأم صاحبة الثورة فى الشئون العسكرية؛ تصور واقع أدوات الهيمنة العسكرية الجبارة التى يحوزها فى إطار حروب الجيل الثالث (3 GW) هى فرصة عمره لإنهاء تهديد الطرف الآخر مرة واحدة وإلى الأبد، أما الطرف الآخر (حزب الله) وبحكم إدراكه العميق لمجال تفوق الخصم تقليديًا فقد آثر المواجهة غير المتماثلة فى إطار حرب الجيل الرابع (4GW)، التى يبدو أن الدولة الأم ـ ومن ثم الطرف الذى فى مواجهته ـ لم يكونا يدركان ماهيتها ولا عمق تأثيرها، ربما بواقع غرور القوة أو بحقيقة الجهل والتجاهل معًا!

إذن كنا أمام أزمة صنعها طرف أضعف، وصعدها الطرف الأقوى إلى حرب لا حدود لها... كنا أمام جنرال حلق عاليًا فى السماء ليحسم الحرب من أعلى، فى مواجهة عمامة حفرت وتخندقت ورأت أن حسم الحرب سيكون على الأرض. كنا أمام طرف يرى الحرب أكثر تقنية، وطرف يرى الحرب أكثر إنسانية، كنا أمام فاعل من نوع الدولة/ الأمة (تجاوزًا) كان ولا يزال منبهرًا بـ «الطريقة الأمريكية فى الحرب ـ American way of war» التى رسخت واقع الهيمنة العسكرية فى ميادين حروب الجيل الثالث (3 GW)، وبأن الحرب تصنع الدولة كما أن الدولة تصنع الحرب باعتبار امتلاكها واحتكارها لأدوات العنف.

كما كنا أمام فاعل من نوع غير الدولة أدرك بعمق مدى الهيمنة العسكرية للخصم فى مجال القتال التقليدى فى ميدان المعركة، بقدر ما أدرك أن آفاقًا واعدة متاحة للتعامل

والبقاء معًا فى وجه هذه الهيمنة، عبر استيعاب جاد ومثابر لحروب غير متماثلة هى دون شك حروب الجيل الرابع (4 GW) القادم. . ومن المؤكد أنه السائد ما بقى النظام الدولى القائم على حاله.

لعل هذه المقدمة المدخل لهذه الورقة البحثية حول حزب الله من منظور الإستراتيجية والقدرات؛ تؤشر إلى السعى لبناء إطار فكرى حول هذه الحرب وذلك الطرف؛ وهو الأمر الذى يفرض استعراضًا لنقاط أربع:

الأولى: الحرب الإسرائيلية على لبنان: مراجعة للأهداف والنتائج.

الثانية: فى مفهوم حروب الجيل الرابع (4 GW).

الثالثة: الطرف الإسرائيلى فى الطريق إلى عملية تغيير الاتجاه.

الرابعة: حزب الله: الإستراتيجية والقدرات العسكرية.

أولاً: الحرب الإسرائيلية على لبنان: مراجعة للأهداف والنتائج

شنت إسرائيل «حرب اختيار - optional war» وليس «حرب ضرورة - war of necessity» ردًا على هجوم محدود لحزب الله فى ١٢ يوليو ٢٠٠٦ أسر خلاله جنديين إسرائيليين كانا فى دورية على الحدود الشمالية قرب لبنان. وعلى مدى ٣٣ يومًا أدارت حملة عسكرية كبيرة اعتمدت فى غالبها على سلاح الجو الإسرائيلى الذى نفذ حوالى ١٥,٥٠٠ طلعة هاجم خلالها ما يقارب ٧,٠٠٠ هدف شملت البنية الأساسية القيادية والعسكرية لحزب الله، وجزءًا كبيرًا من الدولة اللبنانية، فى الوقت الذى ألحقت فيها حوالى ٣٠,٠٠٠ من جنودها النظاميين والعاملين داخل الجنوب اللبنانى، مدعومة بأكثر من ١٠٠,٠٠٠ قذيفة ميدانية من المدفعية والدبابات، فى مقابل ذلك تلقت إسرائيل فى العمق دفقات إطلاقات صاروخية لم تتوقف من **«حزب الله»** على مدى أيام الحرب، بلغت فى إجمالها حوالى ٣,٩٧٠ صاروخًا.

بيانات الخسائر البشرية يشوبها قدر كبير من عدم الدقة؛ حيث يشير الإسرائيليون إلى خسارتهم لـ١٩٩ جنديًا و٤١ مدنيًا، وإلى تكبيدهم حزب الله خسائر بلغت ٥٠٠ مقاتل، بينما تؤكد مصادر حزب الله على خسارة ٧٠ مقاتلاً فقط، فى الوقت الذى تشير فيه تقديرات الحكومة اللبنانية إلى مصرع ١,١١٥ من المدنيين اللبنانيين.

وضعت إسرائيل ـ وفقًا للمتاح من الأدبيات الإسرائيلية ـ خمسة أهداف عند ذهابها لهذه الحرب الاختيارية، سنعرض لها مختصرًا، مع تقييم ما تحقق منها على خلفية النتائج التى انتهت إليها الحرب.

١ ـ تدمير «القيادة الغربية الإيرانية» قبل وصول إيران إلى الحافة النووية

قصدت إسرائيل بتعبير «القيادة الغربية الإيرانية» حزب الله، باعتبار ارتباطاته المذهبية والعسكرية بإيران، واحتمال توظيفه فى حال نشوب صراع مسلح مع الأخيرة، أو بدونه فى شن ضربات صاروخية فى العمق الإسرائيلى، لا يستبعد فيها استخدام رءوس حربية غير تقليدية قد تشمل رءوسًا نووية فى حال حيازة إيران المحتملة لها.

فى المحصلة النهائية لنتائج الحرب يبدو أن إسرائيل لم تحقق هذا الهدف لاعتبارات عدة من أبرزها:

* مع التسليم بنجاح سلاح الجو الإسرائيلى فى تحجيم القدرات الصاروخية متوسطة وبعيدة المدى (٤٠ ـ ٢٢٠ Km) بتدمير جزء كبير من منصات الإطلاق فى الأيام الأولى للحرب؛ فإن ذلك لا يمنع استمرار توافر هذا التهديد لدى **«حزب الله»**، على أساس أن تقديرات إسرائيلية تشير إلى وجود منصات لم تستخدم وبأعداد غير معروفة، وبأن أنظمة صاروخية أكثر تطورًا وأبعد مدى (خاصة سلسلة Zelzal ٣/ ٢) تم الاحتفاظ بها تحسبًا لجولة أخرى، وربما تحت ضغوط إيرانية كنوع من الانضباط التكتيكى.

* إن إيران وسوريا قادرتان على تسريب أعداد معقولة من هذه الصواريخ عبر الحدود البرية السورية مع لبنان التى يصل طولها لحوالى (٣٧٥ Km) والتى يصعب إدامة مراقبتها ٧/ ٢٤ لصعوبة تضاريسها؛ ومن ثم تخزينها شمال منطقة عمليات الجيش اللبنانى وقوات اليونيفيل جنوب الليطانى.

* إن سوريا يمكنها تولى تخزين الأنظمة الصاروخية متوسطة وبعيدة المدى باعتبارها عمقًا إستراتيجيًا لحزب الله؛ انتظارًا لدفعها إلى مناطق عمليات حزب الله عند توتر الأوضاع العسكرية بين الأخيرة وإسرائيل.

* الاعتراف الإسرائيلى بفشل مواجهة القدرات الصاروخية قصيرة المدى، حتى ٤٠ كيلومترًا ـ الكاتيوشا بنماذجها العادية والممتدة المدى؛ حيث تشير التقديرات

الإسرائيلية إلى أن المتبقى لدى حزب الله لا يقل عن ٧,٠٠٠ صاروخ من أصل ترسانة بلغت تقديراتها بين ١٠,٠٠٠ ـ ١٦,٠٠٠ صاروخ فى بداية الحرب.

٢ ـ استعادة مصداقية الردع الإسرائيلى بعد انسحابات أحادية من جنوب لبنان وقطاع غزة أشرت لضعف وإجبار على الرحيل

تبدو المحصلة النهائية لنتائج هذه الحرب محل جدل عميق وقائم بين نجاح وفشل إسرائيل فى تحقيق هذا الهدف؛ حيث:

* يرى المؤيدون للنجاح أن الرغبة الإسرائيلية فى التصعيد ومستوى الخسائر المحققة فى الجانب اللبنانى (١١١٠ قتلى، ٣,٧٠٠ مصاب، ٩٨٠,٤٠٠ مهجر، إضافة إلى تكاليف خسائر مادية تراوحت بين ٢,٤ ـ ٦ مليار دولار)، والمناعة النسبية لسلاح الجو الإسرائيلى هى فى مجموعها عوامل سترد أى قيادات عربية محيطة عن التفكير فى تشكيل تهديد جدى تجاه الدولة العبرية.

* يرى المؤيدون للفشل الإسرائيلى فى هذا الجانب أنه لأول مرة يتضح انكشاف إسرائيل وتعرضها لضربات فى العمق استهدفت المجتمع المدنى، وعجزت عن التصدى لها أو احتوائها حتى اللحظات الأخيرة، التى بدأ عندها سريان وقف إطلاق النار، وأن مستوى الخسائر البشرية والدمار الذى لحق بالخصم لم يفتح سوى مزيد من الكراهية، وربما تعبئة أكثر لأجيال من المتطوعين العرب لقتال إسرائيل، فى الوقت الذى أضعف بالفعل أنظمة عربية معتدلة وداعمة للسلام أمام شعوبها، وأجبرها على التراجع عن مواقف بدت فى بدايات الحرب أكثر تفهمًا لأفعال الجانب الإسرائيلى.

٣ ـ دفع لبنان أن تتصرف كدولة مسئولة تضع نهاية لوضع «حزب الله» كدولة داخل الدولة

يبدو فى المحصلة النهائية لنتائج الحرب أن إسرائيل لم تحقق شيئًا يذكر على هذا الصعيد باعتبار الحقائق التالية:

* إن **«حزب الله»** حركة اجتماعية ذات قاعدة عريضة شديدة التأصل فى المجتمع الشيعى؛ الكيان الأكبر بين الكيانات الـ١٧ المكونة للنسيج الاجتماعى اللبنانى.

* إن «حزب الله» رغم احتفاظه بقدرات تنظيمية وعسكرية؛ أظهر حرصًا بالغًا على تجنب الانزلاق إلى مخاطر مواجهات عنيفة داخلية، والبقاء على دوره المقاوم المثابر لاسترداد الحقوق الوطنية للدولة فى مواجهة إسرائيل.

* إن الحكومة اللبنانية حتى ومع صدور القرار الأممى ١٧٠١ الذى وضع نهاية للحرب، وأعاد التأكيد على نزع سلاح «حزب الله»؛ لم تبادر باتخاذ أى إجراءات من جانبها، سواء لنزع هذا السلاح، أو التشديد على عزل أو منع إعادة الإمداد بالسلاح لهذا الحزب؛ إدراكًا منها لبروزه. وطائفة الشيعة كجماعة سياسية وقوة رئيسة فى لبنان يصبح الاقتراب منها مخاطرة بحرب أهلية ترفضها بحكم التجربة وغير قادرة على مواجهتها بحكم الواقع.

* إن الحظر الذى فرضه القرار الأممى ١٧٠١ سواء على تواجد الحزب جغرافيًا فى المنطقة جنوب الليطانى، أو على توريد السلاح له؛ لا يمثل فى واقع الأمر محددات ذات قيمة على الوضع العسكرى للحزب، باعتبار أن مقاتليه من بين قاطنى المنطقة العائدين إليها فور توقف القتال، وباعتبار أن ما يقرب من ٥٠٪ من عناصر الجيش اللبنانى هو من طائفة الشيعة، وباعتبار أن الحزب يعمل دون قيود فى المنطقة شمال الليطانى، التى أطلق منها دفقات الصواريخ متوسطة المدى التى أحدثت أكبر الضرر إبان الحرب.

٤ ـ تحطيم أو شل القدرات العسكرية لـ «حزب الله»

تبدو المحصلة النهائية لنتائج هذه الحرب أن إسرائيل لم تلحق أضرارًا كافية ولم توفر بيئة مانعة لـ «حزب الله» من الحصول على أنظمة تسليح قد تكون أفضل وأكثر مدى فى المستقبل؛ وذلك للاعتبارات التالية:

* إن إسرائيل اعتمدت إستراتيجية «من الجو» التى بالغت فيها فى قدرة سلاح الجو الإسرائيلى على تحطيم القدرة العسكرية للحزب، الذى أجاد عمليات الانتشار والتحصين وانتظار المعركة البرية.

* إن إسرائيل فى معظم حملتها البرية اقتصرت على شريط ضيق من الأرض لم يتعد عمقه الـ (٦ Km) أدارت فيه معركة مطولة ضد الدفاعات الأمامية لـ «حزب الله» لحرمانه من خط رؤية داخل إسرائيل، فى الوقت الذى أعاد مقاتلو الحزب هجماتهم المضادة على ذات الدفاعات التى فقدوها.

* إن حزب الله الذى توافرت لديه قوة قتالية احترافية تتراوح بين ٤,٠٠٠ ـ ٥,٠٠٠ مقاتل، ومع افتراض صحة الادعاءات الإسرائيلية بخسارته لحوالى ٥٠٠ مقاتل من هذه القوة؛ قد خرج من الحرب بمستوى بقائية يزيد عن الـ٨٠٪ من قوته الاحترافية، وباعتبار امتلاكه لقوة من الاحتياطى تتراوح بين ٦,٠٠٠ ـ ١٠,٠٠٠ من المقاتلين فإن قدرته على الاستعواض ورفع الكفاءة القتالية للمقاتلين الجدد تصبح ممكنة خلال فترة لا تتجاوز الـ٣ شهور.

* إن عوامل مثل صعوبة عزل إعادة الإمداد بالسلاح والعتاد، وتوافر مصادر تسليم لديها برامج واعدة خاصة فى الأنظمة الصاروخية بمدياتها القصيرة والمتوسطة والبعيدة، إضافة إلى أنظمة الصواريخ الفردية المضادة للدروع والطائرات؛ هى فى مجموعها تعيد التأكيد على صعوبة تحقيق مثل هذا الهدف حتى فى المستقبل المنظور.

٥ ـ استعادة الجنديين الأسيرين دون مبادلات بأسرى عرب فى السجون الإسرائيلية

تبدو المحصلة النهائية لنتائج هذه الحرب مشيرة لفشل إسرائيل الكامل حتى فى الاقتراب من تصور حل آخر خارج إطار المبادلات التى طرحها الأمين العام لحزب الله السيد/ حسن نصر الله منذ اللحظة الأولى لنشوء الأزمة وليس لاندلاع الحرب. إلا أن الأمر اللافت فى هذا المجال يؤشر إلى الحساسية البالغة التى أصبح عليها الإسرائيليون فى مسألة تقبل الخسائر البشرية، والذى يتضح ليس فقط فى شن حرب بهذا المستوى من العنف؛ وإنما أيضًا لعزوفهم الشديد عن القيام بهجوم برى كبير داخل الأراضى اللبنانية تحسبًا لخسائر سبق وأن تعرضوا إليها فى الحقبة التى امتدت ما بين الأعوام ١٩٨٢ ـ ٢٠٠٠، والتى ستكون فى هذه المرة مضاعفة.

من المهم التذكير فى نهاية استعراض الأهداف والنتائج أنه فى الحروب غير المتماثلة الجديدة؛ فإن عدم التماثل لا يقتصر فقط على الأساليب والوسائل، ولكن يمتد أيضًا ليشمل قياسات النصر، فكلا طرفى الحرب لديه أيضًا قياسات غير متماثلة لذلك، وفى حالتنا هذه فإن قياس النصر من جانب جيش الدفاع الإسرائيلى منذ البدء كان يعنى «التعجيز الكامل ـ Complete incapacitate» لـ «حزب الله»، عبر إزالة قدرته على قصف الأراضى الإسرائيلية حاليًا وفى المستقبل؛ وهو ما كان يتطلب إعادة احتلال ليس فقط الجنوب اللبنانى؛ وإنما التقدم شمالاً ربما إلى مشارف بيروت الجنوبية؛ وهو ما لم يفعله

خشية تعرضه لجولة جديدة من قتال التمرد على تلك الأرض، بينما على النقيض كان قياس النصر لدى «حزب الله» هو الاستمرار فى القتال، عبر إطلاقات صاروخية ليس لاستهداف العمق الإسرائيلى بقدر الإعلان عن أن نبضًا ما زال فى القلب.

ثانيًا: فى مفهوم حروب الجيل الرابع (4 G W)

الحروب كظاهرة إنسانية تاريخية دائمًا ما تتغير طبيعتها وتتبدل أدواتها، وكذلك أطرافها التى تدرك وتتعلم لتستوعب ثم لتتكيف، وأحسب اليوم أن الحرب تتغير أسرع وعلى مستوى أعمق من أى وقت مضى خلال الـ٣٥٠ عامًا الأخيرة؛ أى منذ «صلح ويستفاليا ـ Peace of Westphalia» فى العام ١٦٤٨ الذى أنهى حروب الثلاثين عامًا، وأبرز الدولة بشكلها المعاصر الذى أسس لاحتكارها أدوات العنف؛ ومن ثم شن الحروب التى اقتصرت على دول ضد دول، حتى بلغ الأمر بالنسبة لكثيرين بالاعتقاد آليًا بأن الحرب صناعة قاصرة على الدولة، وصرنا نبحث فى حالة مواجهة حروب ضد أعداء من غير الدول عن مصطلحات نتداولها بصورة خاطئة مثل: «العمليات الأخرى غير الحرب» MOOTW، أو عمليات الاستقرار والدعم SASO، بينما يطرح الواقع أن المسألة صارت ليس فقط كيف نقاتل فى الحرب؟... ولكن فى: من يقاتلون فى هذه الحرب؟!... وما الذى من أجله يقاتلون؟

عبر كل العالم الآن تجد عسكريات الدول نفسها فى قتال مع خصوم من غير الدول non-state actors.. نوع من الحرب نسميه الآن حرب الجيل الرابع (4 GW)؛ إنه تحدٍّ صعب، فتقريبًا ودائمًا يكون لدى عسكريات الدول تفوق هائل فى معظم ما نسميه لـ «قدرات القتال ـ combat power»، وفى معظم الحالات ينتهى الأمر بهزيمة عسكريات الدولة!.. أشار لذلك المؤرخ العسكرى الأمريكى «جون بويد ـ John Boyd» الذى خدم فى سلاح الجو الأمريكى إبان الحرب الفيتنامية لقوله: «عندما كنت ضابطًا صغيرًا؛ تعلمت أنه إذا كان لديك تفوق جوى، وتفوق برى، وتفوق بحرى فإنك ستنتصر لا محالة... حسنًا فى فيتنام كان لدينا كل ذلك وخسرنا الحرب! لذا فقد اكتشفت أن هناك شيئًا ما أهم من ذلك!».

وفى تصورى أنه لفهم هذا الشىء الـ «ما» الأهم؛ فعلينا أن ندرك أن هناك سياقًا تاريخيًا لتطور طبيعة الحرب وإدارتها بدءًا بالجيل الأول الذى اعتمد مبدأ

«حشد القوة البشرية ـ mass of manpower» الذى بلغ ذروته إبان الحروب النابليونية . . إلا أنه بدأ فى التحلل بفعل التطورات التقنية فى أدوات الحرب ليفسح الطريق أمام الجيل الثانى الذى اعتمد مبدأ القوة الفيزيائية الذى بلغ ذروته إبان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) . . إلا أنه بدأ فى التراجع بفعل تطورات تقنية فى أدوات الحرب وفى الأفكار التى تديرها؛ ليفسح المجال أمام الجيل الثالث الذى بزغ إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) باعتماده «مبدأ المناورة ـ maneuver warfare» المؤسسة على السرعة المتزامنة فى حركة القوات والنيران معًا؛ لخلق مواقف خطرة وغير متوقعة بأسرع من قدرة العدو على التوافق معها، دافعًا إياه للتشتت عقليًا وماديًا . . وعلى مدى أكثر من ٦٠ عامًا أثبت هذا النوع من الحروب تفوقه الحاسم، ومن المؤكد أن التطورات التقنية المثيرة خاصة فى صناعة الإلكترونيات وتحديدًا شرائح السليكون الكثيفة الدوائر الإلكترونية المتكاملة، والانطلاق فى استخدامها فى الحاسبات وأنظمة الاستشعار والتوجيه والاتصالات والتحكم على نحو متسارع منذ مطلع الثمانينيات فى القرن المنصرم؛ منح ـ على نحو ما أسلفنا ـ قدرات قتال غير مسبوقة، ساهمت فى انطلاق ثورة الشئون العسكرية RMA التى أعلنت صريحة عن نفسها منذ مطلع تسعينيات ذات القرن.

ومن اللافت للنظر ـ ارتباطًا بسياق موضوع الورقة البحثية ـ أن هذه القدرات المتتالية الجديدة منحت إمكانية توجيه الضربات بدقة عالية، وعبر مسافات بعيدة، من خلال «الأسلحة الذكية ـ smart weapons» التى يتوافر بها قدرة التوجيه الذاتى نحو أهدافها، دون اعتماد ـ أو بأقل اعتماد ـ على العنصر البشرى؛ الأمر الذى أتاح تصاعدًا فى دور أسلحة الجو وتراجعًا ملحوظًا فى دور أسلحة البر؛ وهو ما بات واضحًا فى الدور الذى لعبته الأولى فى سلسلة الحروب التى شنت منذ مطلع تسعينيات القرن العشرين.

الجيل الرابع من الحرب (4 GW) الذى يبدو تعثر الجيل الثالث من الحرب أمامه؛ هو صراع مسلح أحد أطرافه «فاعل من غير الدولة ـ non-state actor» فى مواجهة القوة العسكرية لذات الدولة أو لدولة أو ائتلاف دول خارجية . . الطرف الفاعل من غير الدولة هو حركات تمرد شعبية، تتمتع بدعم مجتمعى مؤسس على روابط إثنية، أو دينية، أو أيديولوجية، أو ثقافية، والتى من خلالها يتحول الولاء الأساسى من الدولة لتلك الحركات؛ ومن ثم فهى فى جوهرها تعبير عن أزمة الشرعية لعوامل داخلية وأخرى

خارجية، أفشلت بناء الهوية الوطنية والولاء الوطنى، بغياب دولة المؤسسات والقانون والحرية والعدالة الاجتماعية والمواطنة المتساوية.

ويمكن إبراز بعض من أهم سمات حركات التمرد الشعبية على النحو التالى:

- هى بطبيعة روابط الولاء داخلها عابرة لـ «الحدود القومية - transnational».

- وهى بطبيعة المتاح من أدوات العولمة حولها وفى مواجهة جهود الخصم لتقليص ملاذاتها الآمنة؛ تحولت بجرأة وبجدارة لتكون «متعددة الأبعاد - transdimentional» عبر استخدامها لـ «لفضاء المعلوماتى - Cyberspace» بتوظيفها لأنظمة الاتصالات الحديثة خاصة الإنترنت؛ ليس فقط فى مهام الاتصالات البسيطة؛ بل فى مهام التجنيد والتلقين الأيديولوجى والتدريب وترتيبات اللوجيستيك، واستغلال «غرف المحادثة - chat rooms» للتشاور وعقد اجتماعات دورية وطارئة بفرص ضئيلة لاختراقها.

- وهى تدرك أنه لا قبل لها بتحقيق انتصار عسكرى حاسم باعتبار مستوى التفوق التقليدى للخصم؛ ومن ثم فإن الصراع مع الخصم هو سياسى بالدرجة الأولى ولبس عسكريًا، وعلى العمل العسكرى أن يوظف بدقة لصالح الانتصار السياسى؛ لذا فهى تدير صراعًا «غير متماثل - Asymmetric» مع الخصم، بناء على عناصر أساسية تتضمن:

* تجنب مستوى التفوق التقليدى للخصم (أدوات وأساليب القتال التقليدية لحروب الجيل الثالث)، والعمل أسفل هذا المستوى (معركة عسكرية) وأعلى هذا المستوى (معركة سياسية).

* العمل أسفل هذا المستوى وهو المعركة العسكرية يعتمد أسلوب «حرب العصابات - guerrilla war» فى المناطق الحضرية المأهولة التى تتمتع حركات التمرد فيها بدعم السكان، وباستخدام الكمائن وزرع المتفجرات المصنعة على طرق اقتراب الخصم والتسلل والإغارة خلف مواقعه الأمامية. وهى بذلك تستخدم إستراتيجية تعويضية تستهدف تحييد عناصر التفوق التقليدى للخصم من أسلحة ووسائل استخبارات ومراقبة واستطلاع، ودفعه لاستخدام أساليب مضادة تضر بالسكان المدنيين وتزيد فى نفورهم منه.

* العمل أعلى هذا المستوى؛ وهو المعركة السياسية التى تستهدف استنزاف قاعدة الدعم السياسى الداخلى، أو ما يعرف بالإرادة السياسية الشعبية للخصم، اعتمادًا على

الإطالة الزمنية المتعمدة للصراع، وتأمين إيقاع منتظم فى الخسائر البشرية العسكرية والمدنية، مع توظيف موسع للإعلام لعرض الأحداث التى لا تتناسب مع القيم الاجتماعية السائدة داخل مجتمعاته.

من المهم فى هذا الجيل الرابع من الحروب الإشارة إلى ظهور ثلاثة مستويات جديدة للحرب هى: «المستوى المادى ـ physical» و«المستوى العقلى ـ mental» و«المستوى المعنوى ـ morale» وما يبدو من معضلة لعسكريات الدول أن المستوى المادى الذى تجيده والذى يعنى بقتل البشر وتحطيم الأشياء؛ هو المستوى الأقل فعالية فى هذا النوع من الحروب؛ حيث إن ما يعمل لصالحها على المستوى المادى بإسقاط المزيد من قوة النيران التى تسبب الخسائر البشرية وتدمير الممتلكات للسكان المحليين؛ غالبًا ما سيعمل ضدها على المستوى المعنوى الأكثر فعالية، بنفور هؤلاء السكان وزيادة دعمهم لحركات التمرد؛ بل وانضمامهم إلى صفوفها؛ الأمر الذى يمهد لهزيمة حاسمة لعسكريات الدول!

ثالثًا: الطرف الإسرائيلى فى الطريق إلى عملية تغيير الاتجاه

أدرك أن هناك أوراقًا عديدة ستتناول هذا الطرف بإسهاب وبتمكن، لكن سياق موضوع هذه الورقة والحاجة إلى ضرورة اتساقها المنهجى يفرض الإشارة إلى الطرف الإسرائيلى كونه الطرف الذى لم يدرك على غرار الحليفة الإستراتيجية الولايات المتحدة؛ ومن ثم فلم يكن مهيئًا لحروب من نوع الجيل الرابع الذى واجهه فى جنوب لبنان فى ذلك الصيف الحار والدامى من العام ٢٠٠٦. ويبدو أن عوامل ثلاثة تجمعت معًا وامتزجت لتأخذ القيادات السياسية والعسكرية العليا فى إسرائيل بعيدًا عن ذلك الإدراك:

العامل الأول: إن هناك بالفعل بيئة إستراتيجية مريحة لم تتمتع بها الدولة العبرية ربما منذ إنشائها؛ بفعل تقلص التهديد التقليدى لسوريا، وبفعل اختفاء تهديد الجبهة الشرقية بسقوط النظام الحاكم فى العراق والتواجد العسكرى الأمريكى على أرضه، وبفعل تمادى النظام العربى واسترخائه حتى فى البناء العسكرى على جدار خيار إستراتيجى للسلام، فى وقت تتعاظم فيه الفجوة التقنية النوعية لصالح إسرائيل بإمكانيات ذاتية وبرعاية أمريكية، وتبدو فيه مؤشرات نجاح فى احتواء الانتفاضة الفلسطينية بفعل اختراقات استخباراتية فعالة داخل الضفة والقطاع، فضلاً عن فاعلية «السور الأمنى ـ seam zone»، وتبنى عقيدة

مضادة لـ«الإرهاب» تعتمد تطوير قدرات الرد الفورى على الاستخبارات الآنية والاغتيال الممنهج لقادة التمرد؛ وهو الأمر الذى جعل رئاسة الأركان الإسرائيلية تعيد صياغة عقيدة عسكرية جديدة فى أوائل العام ٢٠٠٤ باسم «Kela 2008» تحدد فيها التهديدات بصورة طرفية؛ حيث «التهديد تحت التقليدى ـ sub-conventional» الذى يمثله الصراع الفلسطينى فى طرف، و«التهديد غير التقليدى ـ non-conventional» فيما وراء الأفق الذى تمثله إيران.

العامل الثانى: التغيرات الداخلية فى المجتمع الإسرائيلى وإعادة ترتيب الأولويات الاقتصادية والاجتماعية بفعل خطط الخصخصة والانفتاح والانخراط فى السوق العالمية، وغلبة المشروع الفردى على حساب المشروع القومى؛ وهى أمور عبر عنها أحد الكتاب الإسرائيليين فى تعليق أسباب الفشل الإسرائيلية فى الحرب الأخيرة فى لبنان بقوله: «إنه نابع من انهيار الروح الجماعية اليهودية». وقد انعكس ذلك منذ أوائل التسعينيات فى القرن المنصرم، فى نفور سياسى من الاستخدام الموسع للقوة العسكرية لإنجاز غايات وطنية، والتقليص المستمر فى ميزانية الدفاع.

العامل الثالث: الإلهام المثير لثورة الشئون العسكرية فى عقلية القيادات العسكرية العليا الإسرائيلية، انطلاقًا ليس فقط من انعكاساتها الهائلة فى ميادين المعارك التقليدية التى خاضتها العسكرية الأمريكية فى السنوات الـ١٥ الأخيرة؛ وإنما أيضًا لملاءمتها والأوضاع الديموغرافية والجيو إستراتيجية والاقتصادية التى تخص الكيان الإسرائيلى على نحو خاص؛ وهو الأمر الذى دفع رئاسة الأركان إلى الشروع فى تخصيص القوات البرية نسبة ٢٥٪ بدءًا من العام ٢٠٠٣، وتقليص مخصصاتها فى الميزانية العسكرية بنسبة ١٣٪، مع التركيز على الاستثمارات فى مجالات ثلاثة هى: الاستخبارات والأنظمة القيادية للسيطرة، والاتصالات والحاسبات C4I، والذخائر الجوية دقيقة التوجيه. وجاءت عبارات رئيس الأركان السابق الجنرال «موشى يعالون ـ Moshe ya alon» بأنه يتجه لجعل قدرات الدفاع الإسرائيلية «أصغر ولكنها أقوى ـ smaller but smarter»، وكأنها صدى لعبارة رددها وزير الدفاع الأمريكى السابق «دونالد رامسفيلد ـ D. Rumsfeld» بأنه يتجه لجعل القوات الأمريكية «أقل حجمًا وأكثر قدرة ـ Leaner and meaner».

لكل هذه العوامل الرئيسة وعوامل أخرى؛ فإن اعتماد القيادة الإسرائيلية على الإستراتيجية فى الجو بصورة أساسية مترافقة مع حملة برية هزيلة تتجنب الخسائر البشرية

بقدر الإمكان مع احتمال تكرار تواجد عسكرى دائم مرة أخرى فى الجنوب اللبنانى؛ أمر كان يبدو أكثر من منطقى، وهو ما عبر عنه الجنرال «دان حالوتس ـ Dan Halutz» بقوله أمام الكنيست فى اليوم الخامس من الحرب: «مع كل التقنية التى لدينا لا أجد سببًا لبدء إرسال قوات برية إلى الداخل اللبنانى».

رابعًا: حزب الله: الإستراتيجية والقدرات العسكرية

فى البدء أحسب أن **«حزب الله»** كان نموذجًا لحركات التمرد الاجتماعية، التى تمثل الطرف الفاعل من غير الدول فى حروب الجيل الرابع (4 GW)؛ فهو حركة:

ـ أفرزتها أزمة الشرعية فى الدولة الحاضنة، بفعل عوامل داخلية أبرزها فشل النخبة السياسية فى بناء هوية وطنية، والظلم السياسى والاجتماعى لشريحة معينة منها، وهى الطائفة الشيعية الأكبر.

ـ تستمد شرعيتها عبر قاعدة عريضة متأصلة فى المجتمع الشيعى، وتستند فى تماسكها على رابطة الولاء الدينى المذهبى.

ـ عابرة للحدود القومية، باعتبار الرابط المذهبى مع إيران والرابط القومى العربى مع سوريا وحركات التمرد الأخرى فى الساحة العربية؛ الأمر الذى وفر لها سندًا ماليًا ومعنويًا، والأهم تسليحيًا لا ينضب.

ـ توفرت لها زعامة كاريزمية مارست طبيعة نضالية ليست مختلفة فقط عن باقى الزعامات السياسية الأخرى فى لبنان، ولكنها تبز القادة السياسيين والعسكريين فى العالم العربى.

كما أحسب عن يقين أن هذا الطرف كان يدرك الوضع الإستراتيجى الذى كان عليه قبيل هذه الحرب:

* كان يدرك أنه حقق إنجازًا غير مسبوق فى سياق الصراع العربى/ الإسرائيلى بإجباره القوات الإسرائيلية للمرة الأولى على مغادرة أرض عربية دون توقيع ترتيبات سلام.

* وكان يدرك أن لبنان قد انقسم على نفسه فى مسألة سلاح المقاومة إلى معسكرات ثلاثة: أحدها معه، وآخر يطالب بنزعه، والثالث يراه مسألة مطلوبة ولكنها مؤجلة.

* كان يدرك أن اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريرى وما رافقه من خروج الجيش السورى فى ٢٦ إبريل ٢٠٠٥، وما تبعه من تغير فى وجهة المجلس اللبنانى ومجلس الوزراء فى أعقاب الانتخابات البرلمانية؛ هى أمور بمثابة تآكل فى أوضاع دعم طالما تمتع بها.

* وكان يدرك التغيرات العاتية التى أتى بها الغزو الأمريكى للعراق، واستعراض القوة العسكرية بأدوات ثورة فى الشئون العسكرية، هى بالتحالف وبالرعاية فى حيازة الخصم الإسرائيلى الرابض على حدود التماس.

* وكان يدرك فى النهاية أنه أمام كيان خصم لن يغفر له إنجازه؛ هو ببساطة آلة قتل جماعى راغب فى تكريس صورته الانطباعية باعتباره «دولة مجنونة» فى الإدراك والوعى الجمعى العربى والإسلامى والدولى.

انطلاقًا من هذه الإدراكات الأساسية تهيأ **«حزب الله»** لحرب الجيل الرابع (4 Gw)، عبر إستراتيجية وقدرات عسكرية تتلاءم وطبيعة الحرب غير المتماثلة التى قررها فى مواجهة عسكرية دولة خصم، ليست فقط تمتلك أدوات الثورة فى الشئون العسكرية؛ ولكنها تأتى من حيث النوعية فى دائرة العسكريات القمة فى العالم.

١ ـ **الإستراتيجية العسكرية**: انتهج الحزب «إستراتيجية تعويضية ـ countervailing strategy» تعتمد على تجنب مصادر القوة لدى الخصم، واستغلال نقاط الضعف لديه عبر أربعة عناصر رئيسة:

(أ) تنظيم القوات فى شكل «شبكة منتشرة ـ distributed network» من خلايا ووحدات صغيرة على اتصال فيما بينها عبر أجهزة «لاسلكية فردية ـ walkie -talk» مشفرة، تتشكل فى أنساق مترادفة فى نفس البلدات والقرى، عبر أعماق متتالية بحيث يواجه الخصم مع كل تقدم مقاتلين جدد وتكتيكات جديدة تتناسب مع المكان والتضاريس الذين هم أهله.

(ب) العمل فى داخل مناطق حضرية من قرى وبلدات تم تجهيزها مسبقًا بشبكات ملاجئ وخنادق ومواقع حصينة، مع توظيف مسبق لكافة المنشآت المدنية فى كل المناطق؛ وذلك ليس فقط لتحييد وسائل التفوق التقليدى للخصم (مدرعات، طائرات قتال وهيلوكوبترات، مدفعيات، أنظمة استشعار على مدار الساعة، خاصة الطائرات غير

المأهولة (UAV)؛ ولكن عبر استخدام المدنيين كسلاح دفاعى يرهق أنظمة تسليح الخصم فى محاولات تجنبه، ويستثمر خسائره البشرية والدمار المصاحب فى حشد التأييد الشعبى داخليًا وعربيًا وإسلاميًا ودوليًا.

(جـ) الاستنزاف والرد البطىء لمواجهة سرعة المبادرة وكفاءة نظم القيادة والسيطرة التى يتمتع بها الخصم، من خلال الانضباط التكتيكى بانتظار الهجمات داخل المواقع الحصينة، وإعادة التسلل والظهور فى الوقت المناسب لشن هجوم أو عمل كمين، فضلاً عن أن مقاتلى الأنساق الأمامية يمكن تركهم فى الخلف أو التضحية بهم فى شن عمليات فى مؤخرة الخصم.

(د) التخزين المسبق لاحتياجات داخل الملاجئ والتحصينات والمنشآت المدنية فى القرى والبلدات بصورة متراكمة على مدى السنوات الماضية منذ خروج الاحتلال الإسرائيلى؛ للتعويض عن احتمالات قطع خطوط الإمداد المتدفقة من الشمال بفعل التفوق الجوى والمدفعى والداخلى الدولى الإسرائيلى، وكفاءة أنظمة الاستطلاع على مدار الساعة المتوافرة لديه.

٢ ـ **القدرات العسكرية**: أبرزت الحرب كيف لطرف فاعل من غير الدول أن يمتلك القدرة على حيازة واستخدام أسلحة متطورة، ارتفعت بمستويات الحرب غير المتماثلة لآفاق تقنية عالية وغير مسبوقة لمثل هذه الأطراف.. بل يمكن القول عن يقين إن التوازن المصحوب بفاعلية الذى حققه **«حزب الله»** على مدى الـ٣٣ يومًا هى مدة الحرب فى مواجهة قوات الدفاع الإسرائيلية؛ جاء على نحو كان يحلم به فقط الجنرالات والرأى العام فى العالم العربى منذ أكثر من ثلاثة أجيال.

وأحسب عن يقين أن حزب الله فى بنائه لقدراته العسكرية كان يدرك أن استخدامها ليس مقصورًا على معركة عسكرية تحت مستوى التفوق العسكرى التقليدى لعسكرية دولة خصم، بقدر ما هو عصب أساسى فى المعركة السياسية الدائرة فوق ذلك المستوى، وربما أشير على نحو دقيق إلى ترسانة الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى التى احتوتها ترسانة الحزب العسكرية على نحو خاص.

وسنعرض تاليًا لأبرز ما توافر لدى الحزب من قدرات عسكرية فى طريقه إلى أزمة «الوعد الصادق»، ومنها إلى حرب «تغيير الاتجاه».

(أ) قدرات صاروخية أرض/ أرض

هى أنظمة صاروخية قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى، توفر للحزب الوصول المتدرج إلى المراكز الحيوية والأهداف العسكرية داخل أراضى الخصم، ويتم إدارتها والتحكم فى إطلاقاتها عبر مركز قيادة وسيطرة متطور.

أنظمة صاروخية قصيرة المدى (حتى ٤٠ k m) من نماذج سلسلة الصواريخ المدفعية «الكاتيوشا- kaytusha» عيار ١٢٢ mm تتوافر فى غالبها من طرازات عادية وحتى ٢٠ k m، وبعض منها من النوع الممتد المدى (حتى ٤٠ k m)، وهى بذلك توفر وصولاً من داخل الجنوب اللبنانى إلى عمق يصل فى أقصاها حتى ٣٠ k m ، ورغم محدودية قدرتها التدميرية ودقتها؛ إلا أنها تمثل قدرات أكثر من كافية ضد التجمعات السكانية فى عمق الشمال الإسرائيلى.

• أنظمة صاروخية متوسطة المدى (٤٥ ـ ١٠٠ km)

هى أحد الأسباب الرئيسة لذهاب إسرائيل إلى الحرب باعتبار قدرتها التدميرية وعمق اختراقها حتى وسط أراضى الدولة (وهو ما حدث لقصف بيسان والخضيرة فى اليوم الثانى والعشرين والرابع والعشرين للحرب)، وتشمل الترسانة صواريخ فجر ـ ٣ (٤٥ km)، وفجر ـ ٥ (٧٢ km) الإيرانية، وصواريخ رعد (٤٥ km) وخيبر ـ ١ (٧٢ km) السورية التى مثلت مفاجأة للطرف الإسرائيلى.

* أنظمة صاروخية بعيدة المدى (١١٢ ـ ٢٢٠ km) أحد الأسباب الرئيسة أيضًا لذهاب إسرائيل إلى الحرب، باعتبار قدراتها التدميرية وعمق اختراقها لأبعد من العاصمة السياسية للدولة، وتشتمل ترسانة الحرب على صواريخ زلزال ـ ٢ (١١٥ ـ ٢٢٠ km)، وزلزال ـ ٣؛ وهو نموذج موجه وأكثر تطورًا من النموذج السابق، وعلى كل فإن الحزب لم يستخدم هذا النوع من الأنظمة الصاروخية ربما كنوع من الانضباط التكتيكى المطلوب فى عمليات التصعيد، وربما لضغوط إيرانية لاعتبارات إقليمية ودولية.

(ب) قدرات صاروخية مضادة للمدرعات

مثلت هذه القدرات الأسلحة الأكثر فعالية فى الحرب، ليس فقط فى استخدامها بكفاءة

ضد المدرعات، ولكن لكفاءة الاستخدام فى قتال المشاة الإسرائيلية داخل البلدات والقرى فى الجنوب اللبنانى، رغم حيازة الحزب لبعض من الأنواع الأكثر تطوراً من الجيل الثالث على غرار AT-14karnet الموجهة ليزريًا وذات الرءوس الحربية المترادفة التى تمكن من اختراق تدريعات الصلب بعمق يصل إلى ١٢٠ mm، التى مثلت قفزة نوعية كبيرة غير مسبوقة فى حروب العصابات (حسب التقديرات الإسرائيلية فمن بين ٥٠ دبابة ميركافا أصيبت فى هذه الحرب فإن ٢٢ منها اخترقت؛ أى نسبة ٤٤٪).

(جـ) قدرات صاروخية مضادة للسفن

مثلت حيازة الحزب للصواريخ الكروز C-802 المضادة للسفن والموجهة راداريًا ذات المدى الذى يصل إلى ١٢٠ km قفزة نوعية أخرى فى القدرات العسكرية لأطراف الحرب غير المماثلة، وأحسب أن إصابتها لفرقاطة الصواريخ «حانيت ـ Hanit» المجهزة بنظام Barak الأحدث فى العالم لمقاومة هذا النوع من الصواريخ المضادة للسفن، ومشهد سحبها أمام الشواطئ اللبنانية جنوبًا نحو ميناء أشدود؛ لم يكن فقط مؤشراً على التقنية العسكرية التى بلغها طرف فاعل من غير الدول، بقدر ما حمل مضامين سياسية لمعركة تدور فوق مستوى التفوق التقليدى لعسكرية دولة خصم.

(د) قدرات صاروخية مضادة للطائرات

تحتوى ترسانة الحزب على صواريخ فردية مضادة للطائرات، بعضها متقادم مثل طراز «ستريلا ـ SA-7 Strela»، وبعضها متطور من طرازات «إيجلا ـ Igla SA -18-IE» التى يصل مداها إلى حوالى ٥٢٠٠ m بارتفاع ٣٥٠٠ m، كما تُرجع حيازة الحزب لتلك الأنظمة إجهاداً إضافيًا على استخدام طائرات القتال، من خلال تشغيل مستمر لأنظمة الحزب الإلكترونية، وإجبارها على مناورات عملياتية حادة، بينما حيدت استخدام طائرات الهيلوكوبتر فى عمليات هجومية أو عمليات الإبرار فى العمق.

(هـ) منصات جوية غير مأهولة UAV

يمتلك الحزب عدداً يتراوح بين (٢٤ ـ ٣٠) من الطائرات بدون طيار من طراز «أبابيل ـ Ababil» الإيرانية الصنع (يطلق عليها حزب الله مرصاد ـ ١)، وقد استعرض الحزب قدراته فى اختراق المجال الجوى الإسرائيلى بنجاح لمرتين متتاليتين فى نوفمبر ٢٠٠٤، وقبلها فى إبريل ٢٠٠٢، دون اكتشاف أو اعتراض من قبل الخصم. وتمثل حيازة

واستخدام هذه القدرة تطورات واعدة سواء فى مهام المراقبة والاستطلاع الآتى لعمق الأراضى الإسرائيلية، أو فى مهام قصف الأهداف الحيوية العسكرية فى ذلك العمق.

(و) قدرات حرب إلكترونية

هذا النوع من القدرات التى يحوزها **«حزب الله»** مفاجأة، ليس فقط للطرف الإسرائيلى؛ بل للطرف الأمريكى، الذى سارع بإرسال خبراء إلى إسرائيل للاطلاع على أداء الحزب فى هذا المجال، الذى يمثل لدى كل من الولايات المتحدة وإسرائيل أحد أدوات الهيمنة الأساسية فى ميدان المعركة التقليدية، من خلال السيطرة على المجال الكهرومغناطيسى لساحة القتال، سواء بتأمين استخدامه لصالح القوات الصديقة، أو بحرمان استخدامه من قبل قوات الخصم. . ويمكن القول إن موارد الحزب فى الحرب الإلكترونية التى وفرتها له إيران أتاحت له قدرة إفشال أنظمة الحرب الإلكترونية الإسرائيلية فى إعاقة نظام القيادة والسيطرة والاتصالات التى اعتمدت فى جزء كبير منها على استخدام «الألياف البصرية ـ optical fibers» فى الربط بين عناصره والقدرة على اختراق شبكة الاتصالات الإسرائيلية، ورصد الرسائل والمحادثات، والتعرف على نظام المعركة الآنى، والقدرة على إفشال أنظمة استخبارات الاتصالات COMINT، وأنظمة استخبارات الإشارة SIGINT لقوات الدفاع الإسرائيلية، التى لم تتمكن من اعتراض الرسائل والبلاغات والأوامر، سواء فى ميدان المعركة، أو بين قادة الحزب والخارج، وقدرة تجنيد نظام الدفاع ضد الصواريخ المضادة للسفن Barak المجهزة به سفن البحرية الإسرائيلية، كما وضح فى إصابة الفرقاطة Hanit أمام الشواطئ اللبنانية.

* * *